فلسفة الولاء عند جوزايا رويس

Josiah Royce's Loyalty Philosophy

كمال ذويبي[1]

محمد بوشيبة[*]

تاريخ الإرسال: 2022/01/20	تاريخ القبول: 2022/04/27	تاريخ النشر: 2022/11/10

الملخص:

يتصف الفرد بالولاء أولا إذا كانت لديه القضية التي يتجه بولائه لها، وثانيا عندما يهب نفسه لخدمتها طواعية. وثالثا عندما يعبر عن هذا الإخلاص والتفاني للقضية، بطريقة عملية مقبولة وبخدمة القضية بصورة فعالة ودائمة. وبالتالي يكون إخلاص الفرد نابعا من ذاته فيختار ولائه ويتمسك به في جميع الأحوال ولا بد من ترجمة إخلاصه ترجمة عملية، وعندما يقوم بعمل لا بد أن يكون في خدمة قضيته، ويؤكد "رويس" أن الولاء لم يكن أبدا مجرد عاطفة، كما تتضمن خدمة الولاء نوعا من الاستسلام وخضوع رغبات الفرد الطبيعية للقضية، وعندما يخدم الفرد قضيته لا يتبع رغباته فقط، وإنما يتخذ من قضيته مرشدا له، إذ ترشده قضيته لما ينبغي القيام به، وعليه هنا أن ينفذ الفعل، وفي النهاية لابد أن يكون الإخلاص كاملا لكن رويس تراجع عن مفهوم الولاء الأول واستبدله بمفهوم ثان حيث يعرف الولاء على أنه "**الرغبة في إظهار البديل والتعبير عن الوحدة الواعية فوق نمط الإنسانية في نمط أفعال وأعمال الذات الفردية**".

الكلمات المفتاحية: الفرد. الولاء، الإخلاص. رويس. الذات.

Abstract:

An individual is loyal first if he has the cause to which he is loyal, and secondly when he gives himself up to serve voluntarily. Thirdly, when this

[1]كمال ذويبي جامعة وهران 2(الجزائر)، douibi.kamel@gmail.com

[*]محمد بوشيبةجامعة وهران 2(الجزائر)، bouchiba.univoran2@gmail.com

sincerity and dedication to the issue is expressed, in an acceptable and practical manner and in serving the cause effectively and permanently. Thus, the loyalty of the individual stems from himself and he chooses his loyalty and adheres to it in all cases and must be translated into a practical translation, and when he does a work must be in the service of his cause, Royce stresses that loyalty was never merely an emotion When the individual serves his cause, he does not only follow his wishes, but takes his case as a guide, as his case guides him to what should be done, and here he must implement the act, and in the end must be complete sincerity but Royce retracted the concept The first allegiance was replaced by a second concept, where loyalty is defined as "the desire to praise R alternative expression of conscious unity over the human pattern in the pattern of acts and acts of individual self ".

Key words:*Individual .loyalty sincerity. Royce. Self.*

** *** ***

المؤلف المرسل: كمال ذويبي douibi.kamel@gmail.com

مقدمة:

تبدو لفظة الولاء من الوهلة الأولى من الألفاظ المثيرة للجدل، وتثير في الذهن معاني فلسفية وأخلاقية وقديما ارتبط مفهوم الولاء بالسلطة والحرب، خاصة في النظام العسكري، أو الأرض، أو القبيلة أو العشيرة حتى بات الولاء من القيم الأخلاقية التي يطالب الفرد بالتمسك بها، ورغم ذلك ظل مفهوم الولاء يشكل مشكلات كبيرة، منها ما يتعلق بطبيعته ومدى الحاجة إليه، والقضايا التي يتم الولاء لها، ومنها ما يتعلق بما يسمى بتعارض الولاءات والصراع بينها، ومع تقدم المجتمعات وتطورها اكتسب مفهوم الولاء أهمية كبرى لعلاقته بتماسك المجتمعات وتطورها، وظهرت أهمية مراجعة القيم الخلقية لمواكبة هذا النمو والتطور، فبدأ بدراسة أسس الحياة الخلقية وطبيعة القانون الخلقي، خاصة أن إنسان العصر الحاضر يعاني الحيرة والارتباك تجاه المثل العليا والواجبات الرئيسة، وانتشر الشك في الأحكام الأخلاقية، وزادت المطالبة بتغيير القيم تغييرا جذريا[1].ولما كانت الفلسفة تدرس المبادئ والأسس وجوهرها نقد الحياة، جاءت فلسفة

الولاء تنظر للولاء بوصفه مبدأ أخلاقيا ويدرس المشكلات المتعلقة به دراسة نقدية، تحدد معنى الولاء وطبيعته، وأنواع القضايا المستحقة للولاء وصفاتها، ومنه تأسيس عالم أخلاقي على مفهوم عقلي للولاء، بحيث يقوم بتوضيح مشكلات العصر الأخلاقية، وينهي الصراع بين الولاءات المختلفة.

أما تحديد قيمة الولاء فإنها مسألة تتطلب تحديد القضايا التي تستحق الإخلاص لها وتبرير سبب هذا الإخلاص، أما إذا تم النظر للولاء بصفة عامة وبصرف النظر عن صلاحية وفساد القضية، فإن المخلص يتصف بالنشاط والحيوية فالفرد يتعلم واجباته ومثله العليا والقانون الأخلاقي من سلطة خارجية ولكن إذا تساءل عن السبب لما يكون وواجبه هو واجبه؟ فإنه لا يستقبل إجابة !!، لأن واجبه يكون عبارة عن إرادته الذاتية وقد وضعت في الشعور، لذلك يكون الفرد في موقف أخلاقي متناسق إذا أراد معرفة واجبه، فلا بد من استشارة إرادته العاقلة وهذا من خلال التدريب الاجتماعي وتكوين الوحدة بين عالم الذات وعالم المجتمع، أي بين السلوك الفطري والمكتسب، ومثل هذا النوع من الوحدة هو ما يسمى بالولاء، مثل الدفاع عن الوطن حيث يحل الصراع بين الإرادة الذاتية والجماعية، ويحول الشرف إلى إذعان، والثورة إلى طاعة، وسيصبح الولاء للقضية نوعا من الذاتية، وبالتالي يؤكد الفرد أنه لن يفقد إرادته الذاتية وإنما عبر عنها في العمل من أجل هذه القضية، لذلك يرى رويس أن الفرد يجب ان يكوم المعلم الذي يقدم التوجيه والإرشاد لتهيئة الفرد للوصول الى الولاء الحقيقي، حيث يمكنه التمييز بين الذات وقضيتها، لكي يكون مسيطرا على شخصيته وبإمكانه النظر الى الخارج والتعلم منه[2].وهذا أيضا يكشف لنا عن بعد قيمي آخر وهو ميتافيزيقا الولاء[3]، فجاءت فكرة الكنيسة اللامرئية للقضاء على الصراعات الدينية والتمايز الطبقي، لتضم في عضويتها كل من يكون مستعدا للولاء، بصرف النظر عن قضيته ومدى نجاحه في تحقيقها، فقللت من النزعة الانانية، فلا تحقق ذاتك إلا من خلال الاخرين، فتتعلم الولاء منهم، وتشارك في هبات الانضمام الى مجتمع المخلصين.

1.الحياة الأخلاقية للولاء

1.1المفهوم الرويسي* للولاء:

قبل أن نبدأ في صلب التحليل الرويسي للولاء، نضع تعريفا أولياً للولاء كما قدمه رويس نفسه بقوله " إن الولاء هو التفاني الإرادي العملي المستمر، من قِبل فرد ما، تجاه قضية معينة، يعرف منها ما ينبغي أن يكون، وما ينبغي أن يقوم به من الأفعال، فيرى رويس "إن ولاء الفرد لقضيته يحدد له سلوكه الواجب تحقيقه في حياته الاجتماعية، ولا تبقى مجرد شعار صوري زائف، ومن لا قضية له لا وجود له، ولا غاية يسعى إليها أو جماعة ينظم لها[4]، والولاء ضروري لأنه يقضي على حالة التردد والحيرة الأخلاقية، ويحقق به الفرد الخير لنفسه... فالفرد لا يستمد خيره من الخارج، ولا يعرف واجبه منه، ودائما ما يلجأ إلى الداخل، لاستشارة إرادته العاقلة" ، فيتصف الفرد بالولاء أولا إذا كانت لديه القضية التي يتجه بولائه لها، وثانيا عندما يهب نفسه لخدمتها طواعية. وثالثا عندما يعبر عن هذا الإخلاص والتفاني للقضية، بطريقة عملية مقبولة وبخدمة القضية بصورة فعالة ودائمة، يعرف رويس "الولاء" في كتابه "مشكلة المسيحية" بأنه "تكريس الذات الإرادي والمحكم لعلة عندما تكون العلة شيئا يوحد ذواتا كثيرة في ذات واحدة، وتكون بالتالي مصلحة الجماعة"[5]. ويقدم لنا "رويس"أمثلة عديدة للولاء؛ مثل إخلاص المواطن لوطنه، واستعداده للتضحية بحياته من أجله أو مثل إخلاص المؤمن لدينه، وتفاني قائد السفينة في تأدية وظيفته، ويكون مستعدا للغرق معها إذ اقتضت الضرورة[6]. فلا تستمد القضية المراد الولاء لها من قدرتها على جلب السعادة الوقتية أو ما تنتجه من محبة الفرد لها، بل تستمد من كيان مستقل عنها في الخارج، فالولاء يعيش بين الذات والنظام الملموس.[7]

وبالتالي يكون إخلاص الفرد نابعا من ذاته فيختار ولاءه ويتمسك به في جميع الأحوال ولا بد من ترجمة إخلاصه ترجمة عملية، وعندما يقوم بعمل لا بد أن يكون في خدمة قضيته، ويؤكد "رويس" أن الولاء لم يكن أبدا مجرد عاطفة، كما تتضمن خدمة الولاء نوعا من الاستسلام وخضوع رغبات الفرد الطبيعية للقضية، بدون وجود نوع من

التحكم الذاتي. وعندما يخدم الفرد قضيته لا يتبع رغباته فقط، وإنما يتخذ من قضيته مرشدا له، إذ ترشده قضيته لما ينبغي القيام به، وعليه هنا أن ينفذ الفعل، وفي النهاية لابد أن يكون الإخلاص كاملا، وهو ما يؤكده رويس عندما يصرح بأن الفرد "يكون مستعدا لان يحيا أو يموت تبعا لتوجيهات القضية ومتطلباتها"، لكن رويس تراجع عن مفهوم الولاء الأول واستبدله بمفهوم ثان حيث يعرف الولاء على أنه "الرغبة في إظهار البديل والتعبير عن الوحدة الواعية فوق نمط الإنسانية في نمط أفعال وأعمال الذات الفردية".

2.2 الولاء كقيمة أخلاقية

الأخلاق في اللغة جمع خلق وهو السجية، أو صورة الإنسان الباطنة[8]؛ لأن صاحبه قد قدر عليه[9]، أما في الاصطلاح فتعرف بانها شكل من أشكال الوعي الإنساني يقوم على ضبط وتنظيم سلوك الانسان في كافة مجالات الحياة الاجتماعية بدون استثناء[10]، يعرفها كانطبأنها علم العمل بالمعنى الموضوعي لهذه الكلمة[11]، من حيثأنها اشتملت على جملة من القوانين المطلقة التي ينبغي أن يعمل بمقتضاها[12].ويعد "جوزيا رويس" أحد أبرز فلاسفة الأخلاق في القرن التاسع عشر، بل إن الكثير منهم يعتبرونه في مقدم الذين وجهوا النقد العميق والمنهجي لقيم الحداثة وعيوبها الأخلاقية، ولعل من أهم ما اكتسبته شخصية "رويس" في مجال الفلسفة الأخلاقية أنها دخلت على خط التجربة التاريخية للعلمانية لتعيد الربط والتوفيق بين الفلسفة والدين، أو ما يسمى الفلسفة التوفيقية، أي التوفيق بين القيم الدينية الإلهية وشؤون الإنسان الدنيوية.

يكاد يتفق جميع مؤرخي الفلسفة على أن سقراط كان هو مؤسس الفلسفة الأخلاقية في العالم الغربي[13]، ومهمة الأخلاق هي إيقاظ الإحساس بالقيم الإنسانية العليا، لتنزاح نحو المثل العليا في تحقيق إنسانيتها[14]، ووظيفة الفلسفة الخلقية هي وضع السلوك الإنساني بما هو كذلك، ليميز بين الخير والشر[15]، ويعتبر "رويس"أن الولاء محور الفضائل كلها، وروح الأخلاق العاقلة فإذا تم قيام وحدة صحيحة بين الأخلاق ونظرية فلسفية عن العالم الواقعي، تحققت وحدة الدين بالحياة العملية[16]. ويرى رويس أن إحدى

سمات العصر الحديث تتمثل في إعادة بحث ومراجعة المعتقدات القديمة، وانتشر هذا الاتجاه الناقد ليشمل مجال العلم والدين والأخلاق، إلا أن التشكيك في أساس الأخلاق أمر صعب قبوله لأنه يشمل العالم المرئي واللامرئي، ويشكك في الجهود المبذولة لتطوير العلم ولتحقيق المحبة التي تنادي بها الأديان، من هنا يتساءل رويس "ما قيمة العلم والدين إذا كانت الحياة الإنسانية نفسها ليست لها معايير أخلاقية ثابتة يستطيع أن يقيس بها الفرد قيمته"؟[17].

يرى رويس أنه من الضروري دراسة أسس الحياة الأخلاقية وقوانينها وربطها بالجانب العلمي للحياة الإنسانية، لذا فإن دراسة الأخلاق تعد ضرورية لتنوير العقول وتأكيد الأفعال، ولما كان النقد عمل الفلسفة فإن فلسفة الولاء هي القادرة على الوصول إلى روح هذه الأخلاق التقليدية دون هدمها أو القضاء عليها، وتشير هذه الفلسفة إلى اعتبار الولاء مبدأ أخلاقياطالما أن كلمة فلسفة تشير إلى المبادئ الأولى وإلى دراسة نقدية للولاء وإلى الاعتماد على العقل لوضع تعريف لها، وتحديد القضايا المناسبة له وإلى الغوص في أعماق السلوك الإنساني الذي هو منبع القيم و المعايير الأخلاقية. ويعترف رويس أنه استلهم مصطلح فلسفة الولاء أثناء قراءته لعمل أحد الباحثين في علم الأجناس وهو"رودولف شاتين متز"بجامعة "هاجو"والمعنون باسم "فلسفة الحرب" حيث كانت فكرتا الحرب والولاء لهما علاقة وثيقة، وكان "شاتين متز"من أصحاب النظرة التقليدية للولاء، ويؤكد أنه لولا الولاء الشديد لاختفت الحروب، وأن الحرب توفر فرصة هامة ونادرة لتجديد الولاء.فإذا ما خفت الحروب، فقدت المدينة إحدى قيمها، وهنا يتفق "رويس"و"شاتين ميز" في أهمية الولاء بوصفه مبدأ رئيسيا للحياة الخلقية[18].

ومن هذا كله نستنتج أن القانون الخلقي في فلسفة الولاء جاء كما يلي: "يجب عليك الولاء، ولكي تحقق ذلك عليك باختيار قضية معينة، أو نسق من القضايا، لتجعل منه موضوعا خاصا لولائك، ويحدد مهمتك في الحياة، ابدأ باختيار قضيتك الخاصة بطريقة حاسمة، ثم عليك أن تظل محافظا عليها ومخلصا لها، وبقدر ما يسمح المبدأ العام للولاء

استمر في خدمتها، حتى يتم العمل الذي تستطيع القيام به". أما المبدأ العام للولاء الذي تخضع له كل الاختيارات الخاصة للقضايا، فإنه يقول لنا: "عليك أن تكون على ولاء للولاء، أي عليك أن تبذل أقصى طاقاتك لتقديم الخدمة المخلصة للقضايا، وتحقيق أقصى درجات التفاني في خدمتها ومشاركة كل النفوس التي تحيا حياة الولاء"[19]. صحيح أن الفرد هو الذي يستطيع وحده أن يوجد رسالته الأخلاقية، لكن بسبب الطبيعة الخالصة للذات فإن الفردية الحقيقية لا يمكن أن تحقق إلا عن طريق الولاء للجماعة العظيمة، أي لعلة مثالية توحد كل الناس معا[20].ويحاول رويس الرد على من يعتبرون أن الولاء والانجرار وراء الحروب يعتبر نوعا من الضلال والضياع، فيقول: يكمن هذا النوع من الانحراف بالولاء إلى تهدم القيم الأخلاقية السائدة التي تجعل من الحروب بحد ذاتها هدفا دون أن تكون من أجل الدفاع عن سيادة القيم الخلقية[21]، وفي الأخير ينتقد رويس عدم تأسيس الولاء على أساس الدين في الولايات المتحدة الامريكية، كما هو الحال عند اليابانيين –مثلا-الذين يرون وطنهم جزءا من الدين[22].

وتستدعي فلسفة "رويس" الأخلاقية نظر الباحث فيها بوجه خاص لأنها تعتمد على مفهوم وأساس جديد لم يسبق أن استعمل من قبل وهو الإخلاص أو ما يسميه "رويس الولاء للولاء"[23]، والذي هو تفاني المرء في خدمة مبدأ من المبادئ يعتبره فوق الاعتبار النفسي، فإذا كان إخلاصه لهذا المبدأ لا يحول بينه وبين احترامه لغيره من الناس الذي يخلصون أيضا لمبادئهم، وبالتالي يجد الفرد روح الإخلاص في نفسه، هذا المبدأ الذي يرجو رويس أن ينتشر ويذاع لتحقيق الإنسانية الكبرى التي يطمح إلى تحقيقها كل فرد منا، ويقضي على كل شقاق و عداوة بين الأمم.

3.ميتافيزيقا الولاء

يحاول "رويس"أن يفسر كل ما هو خلقي وقيمي في ضوء فلسفة الولاء، وكأن الولاء يقدم حلا لكل الإشكاليات الفلسفية، فإذا كانت حياة الولاء الأخلاقية أفضل حياة

للإنسان، فأي حقيقة تكمن وراءها، وما علاقتها بالعالم الخارجي، وإن كانت حياة الولاء تستند على اعتقاد الفرد في واقعية القضية وخيرتها فهل لهذه القضايا وجود حقيقي؟ من هنا يقدم لنا رويس عدة تفسيرات تعبر عن تفسير لميتافيزيقا الولاء وهي كالتالي:

لكي يكون للولاء أساس حقيقي لابد له من واقعية للحياة الروحية، وأن كل تعريف للحقيقة يفترض وجودها مسبقا، عندها تتحول النظرية الأخلاقية إلى مذهب فلسفي عام، ولم يصبح الولاء مجرد مرشد في الحياة، وإنما الكشف عن عالم له حياة روحية أبدية واحدة تحوي كل الحوادث الزمنية، وتتحقق فيه كل الأهداف العاقلة، ويشكل مجموع كل ما تصبو إليه البشرية. ويؤكد "رويس"**أن وجود أساس حقيقي للولاء، يفترض وجود وحدة روحية، تتعالى فوق مستوى أي خبرة فردية مستقلة**". فإذا كان الولاء خدمة لقضايا فوق إنسانية، فإن الخير الحقيقي لها لن يظهر لأي مجموعة من الأفراد، وإنما يتم التعبير عن هذه الخيرية بوعي أرقى من مستوى الوعي الفردي، ولكنها لا تظهر وحدتها كاملة لأي منهم، لأنها تكون في مستوى أعلى من مستوى أي فرد معين، فإذا تم التسليم بهذا الافتراض، فإن الولاء لا يكون مجرد خرافة، ويصبح خير القضايا واقعا في مستوى أعلى من المستوى الإنساني، ولئن كان المخلصون كما يرى رويس مؤمنين بأن الإرادة الجمعية موجودة. وبأن الحياة الإنسانية وحدة واقعية حقيقة، إلا أنه يجب إدراك وفهم هذه الحقيقة أي فهم وحدة الحياة الإنسانية، ولن يتم ذلك في نظر"رويس"إلا إذا كانت فلسفة الولاء جزءا من فلسفة ترى العالم كله عبارة عن وحدة واحدة من الوعي وأنه يتكون من وحدات أقل منها[24]، من هنا كان مبدأ الولاء عند رويس متفوقا على العدالة نفسها، لأن الولاء تجسيد أخلاقي للمجتمع، من خلاله يمكن توجيه الافراد عبر الزمان والمكان من خلال توحيدهم على الفعل الخير الذي يفيد المجتمع البشري[25].

وإذا كان الولاء صحيحا فالقضايا الاجتماعية والمنظمات الاجتماعية والصداقات والأسر والدول والإنسانية كلها، يكون لها وحدة من الوعي، بحيث يشارك فيها كل فرد،

ولابد أن تكون كائنة في مستوى أعلى من مستوى الفرد الإنساني العادي. ويؤكد لنا رويس من جديد أنه علينا تبني هذه الفكرة، فإذا نظرنا للولاء في النهاية على أنه وهم مقنع، فإن الولاء له جانبه الميتافيزيقي، لأنه محاولة لإدراك حياتنا الإنسانية، ومن وجهة نظر أخرى هو مجاوزة لحياتنا، نرى من خلالها منظماتنا الاجتماعية عبارة عن وحدات شخصية وفعلية للوعي، وحدات يوجد بها خبرة فعلية بالخيرية، التي يمكن أن نشارك فيها لحظات الولاء التي نحياها. فإذ كان لولاء المحبين وجود حقيقي قي الواقع فإن وجودهم بوصفهم أفرادا مستقلين لا يشكل كل الحقيقة.[26]

2.3 الحقيقة والولاء:

إن الإيمان الراسخ لدى أصحاب الولاء أي إيمانهم بقضاياهم، وبوجود خير حقيقي في هذه القضايا هو إيمان حقيقي، وإنّ كلّ من يتنازل أي نوع من أنواع الحقيقة سواء كانت حقيقة أخلاقية أو علمية، أو حقيقية من مسائل الفهم العام أو كانت حقيقة فلسفية، فإن أحكامه بالحقيقة وما يقوله عنها هي أحكام حتمية، إن عالم الحقيقة الذي يتحدث عنه له أبعاد عقلية وروحية، عالم من الوعي بالخبرة، يكون نمط وعيه أعلى في المستوى من نمط وعي عقولنا الإنسانية. ومن هنا توحد حياتنا على مستوى الوجود الروحي أكبر من توحيدها لوجودنا الإنساني، لذلك يعد من أصحاب الولاء، فإذا كان البحث عن الحقيقة نشاطا أخلاقيا فمن جهة أخرى لا يمكن أن تكتمل الأخلاق إلا إذا سطعت الحقيقة وكستها بنورها[27].

ولما كان البحث عن الحقيقة يرتبط بالإخلاص فإن الباحثين عن الحقيقة مخلصون، لذا يعد الفشل لديهم نوعا من النجاح لأنه عبارة عن مسعى، يسلكه الفرد في مجمل حياته أو نسقه الفلسفي العالمي وهذا لكي يحدد مكانه ووحدة الحياة الواعية فيه، ومن هنا فإن أي بحث عن الحقيقة ما هو إلا تأكيد على وجود وعي شامل يحوي العالم الواقعي، وهكذا يرى"رويس"**أن وجود هذه النظرية للحقيقة والتي ظهرت نتيجة استنتاج**

منطقي محكم، ووضحت علاقة كل فرد بالحقيقة سواء عرف الواقع أو فشل في معرفته وسواء أخطأ أو أصاب في أحكامه"[28]. وبالتالي فإن الحقيقة تقدم إجابات كافية لتساؤلات المخلصين، وصدق قضية قضاياهم أو كما يسميها "رويس" ب**الولاء للولاء**، ويؤكد أيضا على أن كل حياة أخلاقية تكون في وحدة مع حياة فوق إنسانية، ومن الواضح أن"رويس" قد وضع تعريفين للولاء الأول أخلاقي والثاني ديني مكملا للأول وكان "رويس" قد قصد المزج بين الأخلاق والدين أو تأكيد الصلة بينهما، فإذا كان الولاء يعني الرغبة في إظهار الحقيقة الأبدية في الأفعال، فإن ما يكون جديرا بولاء الإنسان ينبغي أن يتحدد من وجهة نظر كلية وإن كان الولاء يعني الإخلاص الإرادي من قبل فرد ما لقضية ما، فإن القضية المثلى في تلك الحالة والتي يتحقق فيها كلاالتعريفين تكون قضية دينية، وبذلك تصبح فلسفة الولاء ما هي إلا فلسفة دينية[29]،لذلك كان ولاء الفرد يتوزع على أكثر من اتجاه فقد يكون ولاؤه للأمة أو للأسرة أو للمجتمع أو للمؤسسات الديمقراطية أو القوانين[30].

4: البعد القيمي للولاء

يرى رويس أن الحكم على ولاء ما من الولاءات، كولاء رفيقي مثلا يختلف باختلاف الواجبات الإنسانية، لأنها ليست واجبات عامة فقط بل فردية أيضا، فطالما كنت واثقا من ولائك ولم تخن هذه الثقة فإنني لا أستطيع الحكم مطلقا بعدم ولائك، ولاء عقلي متنور أو لا، ناجح أو غير ناجح، يتصارع مع ولاء الآخرين أم يهادنهم، ولكن الشيء الوحيد الذي أعرفه معرفة مؤكدة، هو أن أي إنسان لم يختر لنفسه قضية يخدمها فإنه لم يصل بعد إلى العقلانية، أو إلى ذاته العاقلة ولا يمكن وصفه بأنه كائن أخلاقي[31].

من هنا يقرر "رويس"أن الولاء بوصفه مذهبا أخلاقيا، ما هو إلا مركب بين الولاء والفردية، فعندما نحاول التطبيق العملي لهذه المبادئ في الحياة الأمريكية، وإذا ما صح التعريف السابق للولاء، من هنا نستطيع أن نحدد مدى حاجتنا للديمقراطية، والوسائل التي نستطيع بها إشباع حاجياتنا الأخلاقية، ولا تمس في نفس الوقت حرية الأفراد في

المجتمع الأمريكي. حيث يرى"رويس"أن هناك مهمة صعبة تقع على عاتق الشعب الأمريكي، والمتعلقة بتعليم الأجانب الوافدين على المجتمعمعنى الولاء وكيفية الانتباه إلى قيمته، وكيف يمكن الحفاظ على ولائنا كاملا، فليست الإشكالية في تعليم هؤلاء واجبات المواطنة، أو إثارة الشعور بالوطنية والمحافظة عليها، إنما الإشكالية تكمن في المحافظة على ما نعتبره الآن المبدأ الرئيسي للحياة الخلقية، وفي تركيبة سكانية تتبدل دائما بسب الوافدين الجدد، وكذا التغيرات الاجتماعية المستمرة وغير المستقرةأما بالنسبة للنزعة الفردية الحديثة عموما فإنك تستطيع أن تدرك أن مشكلة الهجرة الأمريكية ليست إلا جانبا واحدا من جوانب الحاجة إلى التنوير الخلقي وهي حاجة باتت مميزة في عصرنا، وهنا نستطيع القول مع كلمات "لنكولن"• العظيمة **"إن كل الأمم وبالأخص الأمريكية يجب أن تعمل على ألا يختفي الولاء من العالم ولاء الشعب للشعب ومن الشعب ولأجل الشعب"**[32].

في مقابل ذلك يري ديوي أن الافتقار إلى مواد ثابتة للولاء، يضع الأفراد بدونها في وضع الأحرار فالتحرر في الماضي أو ما يسمى بالليبرالية، كان يتمايز بامتلاك عقيدة ومنهاج فكري محدد، تميزه عن باقي الأحزاب المحافظة التي لم تكن بحاجة إلى نظريات مرسومة تتعدى الدفاع عن الأشياء القائمة، وبالتالي فهي تفتقد إلى ما تتطلع إليه، وليست أقل من مأساة لا تحس بها الجماهير تماما، أما المفكرون فينزعجون منها بصورة واعية لأن الطبيعة الإنسانية لا تمتلك أمرها إلا إذا كانت هناك أهداف تربط نفسها بها، فبقيت نظريتهم مربوطة بولاء قديم دون أن تعطيهم نظاما ومركزا جديدا[33]، وتحتفظ أكثر الشعوب تحفظا بولاء رعاياها، ويكون هذا بزرع مثل وقيم الطاعة والتضامن والولاء العام المشترك لقضية عامة.

1.4من الولاء الى التأويل

يرى "رويس" أن الولاء في ذاته خيرٌ أسمى بغض النظر عن القضية التي تتخذها موضع ولائك، ومع ذلك فمن وجهة نظر الحياة الكلية ينبغي تحديد حقيقة ولاء الإنسان،

ففي رأي رويس أن ما يستحق من الإنسان ولاءه ينبغي أن يكون شيئا يحتفظ له بذاتيته المستقلة من ناحية، ويدمجها في ذات أعلى منها من ناحية أخرى فيقول:" إن العلاقة بين أي شيئين أو شخصين أو عقلين، يستحيل أن تكون تامة التناغم والاتساق، لأنه رأي ولا بد أنه سيحدث بينهما تضارب في المصلحة أو احتكاك يؤدي الى التنافر، ونواة الجماعة المتسقة هي الثلاثة لا الاثنان، ففي الثلاثة يمكن للشخص الثالث أن يزيل ما قد يحدث بين اثنين من سوء واختلاف وتضارب"[34]، وعلى ذلك فنواة المجتمع ثلاثة، وهو يسمى مجتمع الثالوث بمجتمع "التأويل" لأنهقائم على أساس العضو الثالث الذي يؤول أو يفسر لكل من الاثنين الاخرين قصد زميله حتى لا يقع بينهما خلاف، ويسميه أيضا "مجتمع الوساطة"، وفي الحياة أمثلة كثيرة لمجتمع الوساطة هذا خاصة في عالمنا المعاصر، فمثلا إذا قام في العالم معسكران يتقاتلان وقامت بينهما محكمة العدل الدولية لتنهي القتال بينهما، فهذا مجتمع فيه وساطة، وقد علق "رويس" آمالا كبيرة على هذا المجتمع الثلاثي في استقرار الحياة الانسانية، لأن الطرف الثالث يمنع الشحناء والتصادم بين الاثنين، فكأنما يصبح الثلاثة حياة واحدة، ويكون ولاء الطرفين المتشاحنين للطرف الوسيط، ثم ولاء هذا الوسيط لفكرة الولاء ذاتها[35]، وبالتالي كان هذا الولاء الذي يدمج مجموعة الأفراد في حياة واحدة هي القمة المثالية التي انتهى إليها رويس في فلسفته، حتى وإن كانت فكرة الثالوث قد اقتبسها من الدين المسيحي والذي تأثر به أيما تأثر في كامل فلسفته.

أما تحقق الولاء كاملا فلا يمكن برأيه إلا من خلال التضحيات التي يقوم بها الفرد لخدمة القضية، إضافة لهذه الوسائل التي طرحها في مؤلفة فلسفة الولاء، هنالك وسيله أكد عليها في كل مؤلفاته هي تربية جيل يزيد فيه عدد من يمتلكون البصيرة الخلقية، فما قصده بهذه البصيرة وما عملها؟ البصيرة insight جمعها بصائر، وهي قوة الإدراك والفطنة وهي مشتقة من البصر إلا أنها أهم وأدق وأشمل وأوسع منه، هي قوة خفية أو ملكة وهبها الله للإنسان لأدراك حقائق الأشياء أو الجوانب الخفية من الموضوعات والبصيرة لغة هي الإدراك العقل، الدليل، الحجة. واصطلاحا هي انفتاح عين القلب، سعة الإدراك، وهي

القدرة على النفاذ إلى كنه الأمور وخفايا المعضلات، وهي غير الحدسintuition فهي أعمق منه بكثير. والبصيرة – بحسب رويس - هي اسم معين من المعرفة ولدرجة معينة منها، تمكن من إدراك مجموعه معينة من الوقائع وضمها في كل واحد، وفي الوقت نفسه، تجعلنا على علاقة وثيقة وشخصية بهذه الوقائع وبالكل الذي يضمها ويقول عنها بأنها القاضي الذي يحكم على أعمالنا ومثلنا العليا اما عملها فهو انها تعرف صاحبها، بمجرد اكتسابها، بأن مصيره لا يرتبط بذاته وإنما بالحياة من حوله أو بالحياة المثالية،كما أن الإنسان بدونها لن يمارس الخيرية عن وعي ما دام «مسجونا في إرادته الفردية، فإنه لا يمارس الخيرية عن مقصد ووعي واضح بها، و إن كان قد يمارسها بصورة غريزية الأمر الذي يجعله يعتمد على التقاليد التي غالبا ما تكون غامضة، وعلى الضمير الذي غالبا ما يكون متميزا أوقاسيا، وعلى إيمان غامض وعلى العاطفة التي تعد أسوأ أنواع وسائل الإرشاد[36]» .

البصيرة الخلقية تعلمنا وتهدينا إلى أن نقوم بالأعمال التي توافق الحياة الفردية والاجتماعية معا «يقدم لنا العقل البصيرة الخلقية،ويصوغها الفهم العام الخلقي والفلسفي في القاعدة القائلة بأن عليك القيام بالفعل الذي لا يمكن أن تندم عليهحين تراجع معنى حياتك الفردية والاجتماعية ولا على المبدأ الذي سلكت بناء عليه» . والفعل الذي لا يمكن الندم عليه -بحسب رويس -هوالفعل وفق مبدأ الولاء. فالبصيرة تعلمنا ألا نقول أحب لجارك ما تحب لنفسك فقط. بل تعلمنا القول أسلك كما لو كنت أنت وجارك شيئا واحدا، وانظر إلى حياتكما كما لو كنت تنظر إلى حياة واحدة. فهناك حجاب من الوهم يجعل من جارنا، على سبيل المثال، شيئا لا ذاتا، ووحدها البصيرة التي تساعدنا على التخلص من تلك الحالة وتجعلنا ندرك أنه ذات حقيقية كذاتنا. إننا نحتاج البصيرة لنرى الحياة بعامة وبصورة شاملة، لأننا من دونها نرى جزءا أو جانبا منها فقط.

4. خاتمة:

ختاما يمكن القول أن هدم الولاء عند "رويس" يعد انتحارا أخلاقيا"، فيستطيع الإنسان البسيط تشكيل حياته الحقة بقدر ما يعمر في الحياة. ولكنه أحيانا ما يقضي حياته كلها كما لو كان مجرد حالة نفسية أو لحظة تعبيرية عن شخصية أخلاقية بسبب فشله في رؤية ولائه الذي كان قد اختاره، وشكل لب شخصيته الأخلاقية، وهنا يطرح رويس سؤالا رئيسيا: هل يمكن أن يتعلم الشعب الأمريكي هذا الدرس المستفاد من الروابط الأسرية؟ وهل يدرك أن الولاء لا يعني عبودية فرد لأخر، وإنما يعني تسامي الأفراد لمنزلة الشخصية الحقة بسبب القبول الحر والإرادي لقضاياهم، وبسبب تكريس حياتهم لخدمة هذه الروابط الشخصية المشتركة؟، وهنا يجيب رويس قائلا: إنه ولئن ظلت مسألة التعاملمع عدم الولاء، مسألة عملية خطيرة إلا أننا لن نفلح في التعامل معها، إذا تصورنا أن العلاج يكمن في الانتقام، أو بفعل ما تكون فيه الخيانة للولاء، وبالتالي وجب علينا أن نعلم شعوبنا وندربها على مبدأ الولاء للولاء[37].وأن نعزز هذا المبدأ فالولاءات المحدودة، والصور اللاعقلانية للفردية، والسخرية من أصحاب الولاء أمور يقول"رويس"أننا نلاحظها في حياتنا الأمريكية"، وخلاصة موقفه أن الولاء للولاء"Loyalty for Loyalty"، أمر ضروري وأن ولاء الإنسان لعلة كبرى قد يجعل كل ولاء ممكنا، بحيث يتضمن الولاء الإيمان بعلة كلية لها دلالتها الروحية، التي نجد فيها كل القيم.

وعندما تبلغ الولاءات الخاصة أقصى مدى لها وتصبح أكثر انتشارا وتطورا بين الناس، فهي حينئذ تأخذ صورة الولاء للعداء المتبادل بين المنظمات والجماعات والفئات والطبقات الاجتماعية على حساب الولاء للمجتمع ككل أو لكل أفراد الأمة. إن الولاء حق لكل إنسان والملوك والعمال ولاؤهم واحد، وعندما ندرك هذه الحقيقة لن يصبح الولاء سببا للصراعات والعداءات، أو تصريحا بخيانة الدولة من منطق الإخلاص لقادة فاسدين ولدعاة الفتنة ومثيري الشغب. أما بالنسبة لأمريكا فيرى "رويس"تاريخ شعور وعاطفة الأمريكيين تجاه حكومتهم الوطنية، يختلف عن تاريخ الشعور الوطني في البلدان الأخرى،

فأمريكا مثلا لم يحكمها ملك على الإطلاق بوصفه رمزا للكبرياء والوحدة الوطنية هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم تدخل أمريكا حروبا ضد طبقة مميزة، وقد أدى التعارض بين الولاء للأمة والولاء للمدينة إلى نشوب الحرب الأهلية، وظهور ما يسمى بسلطة الأمة، وتم الاعتراف بسلطة الحكومة الوطنية بوصفها السلطة القانونية والقوة المادية، وبات لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية قوة تفوق قوة أي ملكية على وجه الأرض، وهذا لم يتأتى إلا بعدما أصبح كل الشعب الأمريكي على ولاء حقيقي لحكومته الوطنية.هذه أخلاقيات البرغماتيين (الذرائعيين) الذين يعتبرون النجاح هو المعيار الوحيد للحقيقة، لذلك يستند رويس إلى ما قاله أستاذه وليام جيمس والذي آمن بها بعد أن أوجدها زميله بيرس، وقد تسللت أفكارهم حتى أصبحت عماد الفلسفة الأمريكية المعاصرة.

5. الهوامش:

[1] - جوزايا رويس فلسفة الولاء ترجمة أحمد الأنصاري المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ط1 2002م ص7.

[2]- Josiah Royce, Race Questions, Provincialism, and Other American Problems, the MacMillan Company, New York 1916, p238.

[3] - أحمد الأنصاري، فلسفة الدين عند جوزيا رويس، مركز الكتاب للنشر مصر 2004،ص285.

*جوزايا رويس: فيلسوف أمريكي هيغلي النزعة مثالي المذهب وهو الميتافيزيقي الأمريكي الوحيد، ولد في " crass valleg" بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة سنة 1855وهو ابن لوالدين إنجليزيين عبرا القارة الأمريكية اثناء التهافت على الذهب سنة1849، ودخل جامعة كاليفورنيا في سنة 1871، وحصل على البكالوريوس سنة 1875. كتب بحثا عن اللاهوت في مسرحية "برونيوس مقيدا"، نال به منحة من المال مكنته من تقضية عامين في ألمانيا، حيث راح يقرأ الفلاسفة الألمان وخصوصا شلينغ وشوبنهور، والتحق بجامعة "جيت خن "حيث درس على يد الفيلسوف "لوتسة"، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة جونز هوبنكر، في (بلتيمور)، وكان حينها يستمع لوليم جيمس وبعض محاضراته، عين مدرسا في جامعة كاليفورنيا لبضعة أعوام، ثم أستاذ مساعد وفي 1892 صار أستاذا في نفس الجامعة (هارفاد) وشغل كرسي اللفورد للفسفة في جامعة هارفارد سنة 1914. توفي سنة 1915. من مؤلفاته محاضرات في المثالية الحديثة، الجانب الديني للفلسفة، روح الفلسفة الحديثة، مفهوم الله، دراسات في الخير والشر، العالم والفرد، ج1، ج2، فلسفة الولاء، وليم جيمس وفلسفة الحياة، مصادر البصيرة الدينية مشكلة المسيحية ج1، ج2، مفهوم الله، ودراسات أخرى، أنظر: عبد الرحمن بدوي الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص 544.

[4]- حسن حنفي، التراث والتجديد، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، د ت ط، ص364

[5]- Royce Josiah, the Problem of Christianity, part I, A Gateway Edition, Henry Rgnery Co, Chicago, 1968.1 p 68.

[6]- جوزايا رويس، فلسفة الولاء، مصدرسابق، ص30.

[7]- David W. Roddick, Gabriel Marcel and American philosophy, Lanham Boulder, New York, 1966, p 20.

[8]- ابن منظور، "لسان العرب"، المجلد الرابع، دارإحياء التراث العربي، بيروت، د ط، 1988، ص86.

[9]- ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، دارالفكر، د ت ط، بيروت لبنان، ص329.

[10]- مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دارأسامة للنشروالتوزيع، الأردن، عمان،2009، ص40.

[12]- إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، ت عثمان أمين،***مكتبة الأنجلو المصرية***، القاهرة،***ط1***، ***1952***، ص87.

[13]- أندريه كريستون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ت عبد الحليم محمود، مطابع دارالشعب، القاهرة، 1979، ض71.

[14]-مصطفى عبده، فلسفة الاخلاق، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص 22.

[15]- توفيق الطويل، فلسفة الاخلاق نشأتها وتطورها، ط3، دارالنهضة العربية، 1976، ص 17.

[16]-المصدرنفسه، ص 40.

[17] -احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزا يا رويس مرجع سابق ص 284.

[18]-جوزايا رويس فلسفة الولاء ت: احمد الأنصاري مصدرسابق، ص37.

[19]-المصدرنفسه، ص 122.

[20]- فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ت: محمود سيد أحمد، المركزالقومي للترجمة، القاهرة، ط،2009، ص404.

[21]-احمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق، ص 293.

[22]- هاني المغلس، الطاعة السياسية في الفكر الإسلامي: النص والاجتهاد والممارسة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، هرندن فرجينيا، ط1، 2014، ص45.

[23]- **أبراهام وولف، فلسفة المحدثين والمعاصرين، ت أبو العلاء عفيفي، لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ط 2، 1936. ص65.**

[24] -احمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق، ص 194

[25]- Aaron Lawrence Britter, On the concept of sin in theology of liberation and Josiah Royce the problem, the University of Oregon, 2012, p 64 .

[26] -جوزايا رويس، فلسفة الولاء، مصدرسابق، ص 169.

[27]-المصدرنفسه، ص 171.

[28] -احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزا يا رويس، مرجع سابق، ص 297.

[29] -المرجع السابق، ص 298.

[30]- Ritchard Rorty, justice as a larger loyalty in Richard Rorty: critical dialogue, p 20.

[31] -جوزايا رويس، فلسفة الولاء، مصدر سابق، ص 129.

● ابراهام لنكولنمن 12 فبراير1809 م 15 - أبريل1865 م) كان الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية بالفترة من1861 م إلى1865 م. بالرغم من قصر الفترة الرئاسية للرئيس لينكون إلا أنه استطاع قيادة الولايات المتحدة الأمريكية بنجاح بإعادة الولايات التي انفصلت عن الاتحاد بقوة السلاح، والقضاء على الحرب الأهلية الأمريكية. وأهم أعماله إنه قدر ان يقود امريكا بنجاح خلال أعظم أزماتها الداخلية، الحرب الأهلية، وحافظ على الاتحاد، واستطاع انهاء العبودية في امريكا. ابراهام لينكولن كان زوج حنون، رغم بعده عن عائلته، لديه أربع أطفال فاز بترشيح الحزب الجمهوري، و انتخب رئيس سنة 1860، انظر حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص369.

[32]جوزايا رويس، فلسفة الولاء، مصدر سابق، ص 127.

[33] -جون ديوي: الفردية قديما وحديثا، ت، خيري حماد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ص58.

[34]- **زكي نجيب محمود، *حياة الفكر في العالم الجديد*، *دار الشروق* القاهرة، ص 110.**

[35]- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، المرجع السابق ص 111.

[36]- هبة عادل العزاوي، فلسفة المدينة الفاضلة وو اقعية الفلاسفة المعاصرين، الطبعة الأولى، لبنان/كندا، 2016، ص44.

[37]-زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، المرجع السابق، ص 133.